فنلنـــدا

تقع فنلندا فى شمال قارة أوروبا بين خط عرض ٦٠° شمالاً وخط عرض ٧٠° شمالاً ، وتحدها النرويج من جهة الشمال ، والسويد وخليج بوثينا من جهة الغرب ، والاتحاد السوفيتى من جهة الشرق ، وبحر البلطيق من الجنوب .

ويمتد أكثر من ربع مساحة فنلندا شمالى الدائرة القطبية الشمالية بينما إجمالى مساحتها حوالى ٣٣٧ ألف كم٢ ، ويبلغ تعداد السكان حوالى ٥ مليون نسمة وهو عدد يعتبر كبيراً بالنسبة للمواقع الأخرى فى العالم التى تقع على نفس خط العرض الشمالى ، ويقطن أكثر من ٤٠٪ من السكان فى المقاطعات الثلاث الجنوبية لفنلندا .

وتتميز معظم أراضى فنلندا بأنها عبارة عن سهول ثلجية غنية بالتربة الخصبة ، إلا أن جنوب فنلندا يتميز بوجود عدد ضخم من البحيرات والتى يبلغ عددها حوالى ٥٥٠٠٠ بحيرة ، وقد تكونت معظم هذه البحيرات من تفتت الصخر تحت وطأة ضغط الجليد ، ثم إزالته بفعل الأنهار الجليدية حتى أن الركامات الجليدية قد سدت الوهاد الخفيفة فى بعض الأنحاء ، وتعتبر هذه البحيرات ضحلة وليست مرتفعة عن سطح الأرض بالقدر الذى يسمح باستغلالها كمصدر للقوى الكهرومائية .

وتشتهر فنلندا بالشتاء الطويل البارد الذى يميز المناطق القطبية الشمالية ، ولايوجد اختلاف واضح فى المناخ بين مكان وآخر فى فنلندا سوى انخفاض تدريجى بسيط فى معدل درجة الحرارة خلال الشتاء ما بين الجنوب والشمال ويتميز مناخ فنلندا بطول الفترة التى يكسو فيها الجليد خليج بوثينا ، حيث يبلغ طول فصل تجمد المياه فى جنوبى فنلندا مابين ٨٠ إلى ١٤٠ يوماً وتزداد

هذه الفترة كلما اتجهنا نحو الشمال حتى تتراوح مابين ٢٢٠ يوما إلى ٢٥٠ يوماً فى بلاد اللاب الشمالية الفنلندية ، لذا نجد خليج بوثينا يتجمد تماما مايقرب من شهرين كل شتاء .

أما أهم مايميز المناخ فى فنلندا فهو طول فترة الإنبات فى فصل الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة لتصل إلى ٥٥م .

ومن المثير أن طول فترة الإنبات قد تصل إلى حوالى ١٧٥ يوماً تقريباً عند مناطق الساحل الجنوبى بينما تبلغ حوالى ١٢٠ يوماً فى لابلاند .

وتعتبر الزراعة من أهم الحرف إلى جانب تربية الماشية فى فنلندا رغم أن الأراضى القابلة للزراعة لاتتعدى حوالى ٨٪ من مساحة الأرض ويتم زراعة الحشائش والحبوب وبنجر السكر ، كما يتم تصدير الزبد ، وقد يحدث أن تتعرض كل الحاصلات الزراعية فى فنلندا لخطر صقيع الربيع مما يتسبب فى تلف المحصول بالكامل كما حدث فى عام ١٩٥٢ ، لذا تتم تربية البقر والماشية إلى جانب الزراعة .

وتعتبر النباتات الطبيعية الموجودة فى فنلندا جزءاً من غطاء الغابات الكبرى الذى يمتد من اسكندیناوه وحتى شرق سيبيريا إلى جانب أمريكا الشمالية وهى غابات صنوبرية من أشجار التنوب واللاركسى والصنوبر الراتنجى لذا تعتبر أعمال الغابة من أهم مصادر الدخل لمعظم الفلاحين فى فنلندا حيث يقطع الفلاح أشجار الغابة فى الشتاء عندما لايجد شيئاً آخر يمكنه القيام به أو يعمل فى إحدى شركات الأخشاب الكبرى أو فى الغابات الحكومية فى شمال فنلندا وتستخدم قوة الخيل أو الجرارات فى جر كتل الأشجار المقطوعة إلى شواطىء الأنهار والبحيرات أثناء وجود الثلج على الأرض ، وتبقى الأخشاب حتى بدء ذوبان الجليد فى أوائل الصيف حيث يتم تعويمها أو ربط كتلها معا وتلحق بقاطرة مائية تسحبها إلى مصانع نشر الأخشاب وغيرها من المصانع التى تعمل فى هذا المجال حيث تستخرج من هذه الكتل الخشبية الألواح الخشبية ولب الأشجار والورق وكيماويات السيليولوز أيضاً ويقدر مايقطع من أخشاب غابات فنلندا بحوالى ١٤٠٠

مليون قدم٣ كل عام ، لذا نجد أن منتجات الأخشاب تعتبر من أهم عناصر اقتصاد البلاد وخصوصاً فى مجال التصدير للخارج .

ومن المدهش أن فنلندا قد وصلت إلى مستوى بالغ التقدم فى مجال قطع الغابات وتهيئة الأرض للزراعة ولاسيما فى الشمال والغرب ، بل ومن الغريب أن الأقطار التى تقع على نفس خطوط العرض مع فنلندا لم تبلغ ما بلغته فنلندا من تقدم اقتصادى مذهل ، كما يلاحظ أيضاً أن هذه الأقطار الأخرى مثل السويد والنرويج يتجمع معظم سكانها عند خطوط عرض أدنى جنوبا من خليج فنلندا ، أما خارج أوروبا فيلاحظ أيضاً أن الأقطار المناظرة لفنلندا على نفس خطوط العرض مثل آلاسكا . وشمال كندا وشمال سيبيريا لا يسكنها سوى قلة من السكان ، كما تتم زراعة مساحات قليلة جداً من الأراضى ، لذا يرجع المحللون ظاهرة ارتفاع عدد السكان وارتفاع مستوى المعيشة فى فنلندا إلى إرادة الشعب الفنلندى القوية فى استخلاص مصادر رزقهم من تربة بلادهم الرقيقة ومن بين براثن مناخهم القاسى .

وتشتهر فنلندا بالمدن النظيفة بشكل ملحوظ حيث أن القوى الكهرومائية التى تدير الصناعة لا يتخلف منها دخان ، كما أن تخطيط وفن عمارة هذه المدن يعتبر بالغ الروعة ، إذ شيدت المنازل والمصانع وسط الحدائق الواسعة والمتنزهات ، باستثناء عدد قليل من الضواحى التى تخرج عن هذا الإطار ، ومن أهم مدن فنلندا نجد :

مدينة هلسنكى :

وهى عاصمة فنلندا وتشتهر باسم مدينة الشمال البيضاء وتعتبر ميناء فنلندا الرئيسى ، وقد أسسها الملك جوستاف فازا السويدى عام ١٥٥٠ كميناء تجارى للبلاد ولكن عدد سكانها لم يبلغ سوى ٤٠٠٠ نسمة خلال قرن ونصف .

وكان معظم سكان هلسنكى من الفلاحين وصيادى السمك فى ذلك الحين وقد ضمتها روسيا إليها عام ١٨١٢ ، وكانت مدينة توركو هى العاصمة

وكانت قريبة جدا من السويد لذا نقل القياصرة الروس عاصمة فنلندا إلى هلسنكى ومنذ ذلك الحين نمت المدينة سريعاً وتزايد عدد سكانها حتى بلغ حوالى ٤٦٢ ألف نسمة .

ومن الغريب أن النيران اجتاحت مدينة هلسنكى عام ١٨١٨ وأزالتها من الوجود تماماً فقام المعمارى الألمانى المولدكارل لودفج انجل بإعادة تخطيطها وقام بتصميم الجامعة ومبنى مجلس الدولة والكاتدرائية وبعد ذلك استمر بناء هلسنكى باستخدام تلك الحجارة المحلية ذات اللون الفاتح ، لذا اشتهرت هذه المدينة الجميلة بلقب مدينة الشمال البيضاء وقد أضيف مبنى محطة السكك الحديدية ومبنى البرلمان بعد حصول فنلندا على استقلالها عام ١٩١٩ .

وتعتبر هلسنكى ميناءً نشطاً ، حيث يستورد من خلالها الفحم والزيت والحبوب وتصدر الأخشاب ومنتجاتها من قشرة الخشب ولب الخشب والورق إلى جانب منتجات الألبان ، وتعمل محطات الجليد على فتح الميناء فى الشتاء ، ولكن يحدث أن يغلقه الجليد تماماً أثناء الشتاء القارس والغير عادى الذى يتكرر كل خمس سنوات تقريباً ، ومن المثير أن سكان هلسنكى عادة مايتجهون إلى الجزر الصغيرة الملاصقة لها أثناء فصل الصيف الحار .

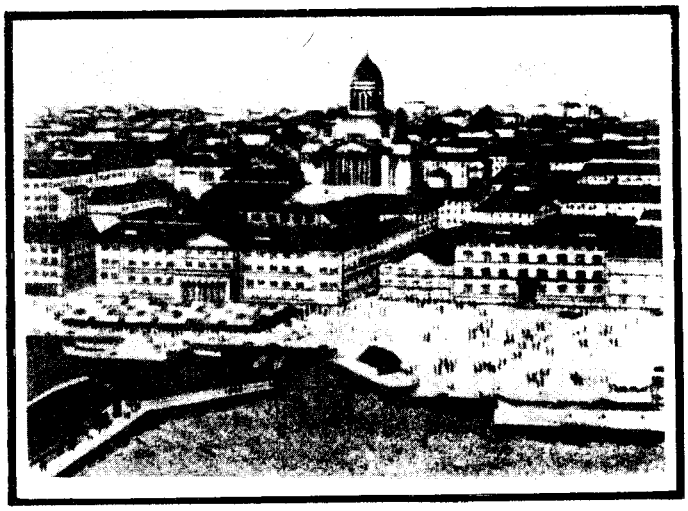

منظر عام لمدينة هلسنكى

تعويم كتل الخشب

مدينة تامبير :

وتعتبر ثانية مدن فنلندا ويسكنها حوالى ١٢٧ ألف نسمة وقد أسسها ملك سويدى عام ١٧٧٩ وهى تبعد عن هلسنكى بنحو ١٦٠ كم نحو الداخل ، وقد بدأ نمو المدينة صناعياً فى القرن التاسع عشر عندما أسس أحد الاسكتلنديين ويدعى جون فنليسون مصنعاً لغزل القطن بها ، ولاتزال هذه الشركة قائمة حتى الآن بل وتعتبر من المؤسسات الرئيسية فى البلاد ، ويوجد بمدينة تامبير الآن مايزيد عن ٤٠٠ مصنع لإنتاج المنسوجات والصناعات الخشبية والآلات الميكانيكية ، لذا اشتهرت هذه المدينة بلقب متنزه فنلندا الصناعى نظراً للحقول والحدائق التى تحيط بها ، ومعظم مبانى المدينة حديثة .

مدينة توركو :

تعتبر مدينة توركو القديمة هى ثالثة مدن فنلندا الكبرى وتقع على خليج بوثينا غرب مدينة هلسنكى بنحو ١٦٠ كم ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٢٥ ألف نسمة .

ومن العجيب أن النيران تعقبت هذه المدينة عدة مرات حتى أتت على مبانيها القديمة ، إلا أنه قد أمكن إعادة بناء كاتدرائيتها الشهيرة والتى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر ، وتحتوى الآن على متحف تاريخى .

وتوركو هى الميناء البشتوى الرئيسى لفنلندا وبها مركز لصيانة السفن .

مدينة لاهتى :

أصبحت مدينة لاهتى رابعة المدن الفنلندية الكبرى الآن ، إذ أن عدد سكانها قد تضاعف سريعاً حتى أصبح حوالى ٦٥ ألف نسمة .

ومدينة لاهتى تقع عند الطرف الجنوبى لإحدى سلاسل بحيرات فنلندا الكبيرة المسماه فسييرافى بيانى ، وهى على بعد ٩٦ كم شمال شرق مدينة هلسنكى . وهى مدينة حديثة أسست عام ١٨٧٨ وخططت تخطيطاً رائعاً وحديثاً ، وتعد الآن مركزاً لصناعة الأثاث وصناعات خشبية أخرى فى فنلندا بالإضافة لصناعة الأحذية والزجاج .

وتشتهر مدينة لاهتى بأنها مركز لرياضة الشتاء فى فنلندا ، وتقام بها بعض مباريات الانزلاق على الجليد العالمية .

نبذة تاريخية عن فنلندا :

كانت فنلندا جزءاً من السويد لعدة قرون ، ولايزال الأثر السويدى باقياً فى أسماء العديد من المدن فى فنلندا ، وقد وقعت فنلندا تحت الحكم الروسى عام ١٨٠٩ ثم استقلت عنها عام ١٩١٩ وقد انحازت فنلندا إلى جانب ألمانيا

فى الحرب العالمية الثانية لتتحاشى السيطرة الروسية ولكنها خرجت منهزمة وخسرت مقاطعة كاريليا التى تعتبر من أغنى مقاطعات فنلندا ، كما أصبحت مدينة بتعويضات باهظة لروسيا ، إلا أن هذه التعويضات كانت حافزاً كبيراً لفنلندا للتقدم فى مجال صناعات الصلب والآلات الهندسية التى تدار بالقوى الكهرومائية حتى استطاعت أن تسدد ديونها عام ١٩٥٢ لروسيا . وتوجد حالياً علاقات تجارية نشطة بين فنلندا وروسيا نظراً لطول الحدود المشتركة بينهما بالرغم من الحروب التى نشبت بينهما فى عام ١٩٣٩ وبين عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٤ .

وقد كانت فنلندا دائماً منعزلة شيئاً ما عن العالم الخارجى بعكس الدول الاسكندنافية الأخرى ، وقد ترجع هذه العزلة إلى أن اللغة الفينية تختلف تماما عن لغات الأقطار الأخرى المجاورة لها مثل النرويج والسويد وروسيا حيث لاتشبهها من اللغات الأوروبية سوى اللغة الأستونية .

ويعيش شعب اللاب الصغير فى الأجزاء الشمالية من فنلندا وهو شعب يحيا حياة البدو ويرعى حيوان الرنة ويهاجر فى وقت معين من كل عام إلى الساحل النرويجى ، والبعض منهم احترفوا صيد الأسماك واستقروا منذ زمن طويل على طول السواحل والأنهار .

روسيا (١)

روسيا هى أكبر قطر فى العالم من حيث المساحة ، وهو يمتد عبر قارتين من قارات العالم ، حيث يشغل نصف مساحة قارة أوروبا وثلث مساحة قارة آسيا من جنوب خط عرض ٤٠° شمالاً وحتى خط عرض ٨٠° شمالاً وتمر الدائرة القطبية الشمالية بامتداد الشمال منها ويشغل هذا القطر الشاسع أكثر من سدس مساحة العالم بخلاف القارة القطبية الجنوبية حيث تبلغ مساحة روسيا حوالى ٢٢,٤ مليون كم٢ بينما يبلغ طول حدودها حوالى ٦٠ ألف كم يقع معظمها على سواحل المحيط القطبى الشمالى والمحيط الهادى .

وروسيا أو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية تعتبر أكبر وحدة سياسية فى العالم ، إذ يعيش داخل حدوده الممتدة حوالى ٢٤٧ مليون نسمة مابين روس وأوكرانيين وروس بيض وأوزبك وتتار وغيرهم ، وتمتلك الدولة فى ظل هذا النظام السياسى كل الأراضى والمصانع والماكينات كما تحتكر التجارة الخارجية احتكاراً كاملا .

وتتكون روسيا من سهول واسعة لايرتفع بعضها كثيراً عن سطح الأرض ، وتفصل جبال الأورال مابين روسيا الأوروبية وروسيا الأسيوية ، وهى سلسلة من الجبال التى تمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ٢٠٨ كم ، وقلما يزيد ارتفاعها عن ٢٠٠٠ متر ، وجبال الأورال الشمالية أعلى من الجنوبية حيث تصل قمة نارودنايا إلى ارتفاع ٢٠٦١ متراً فى شكل قمة صخرية عارية تتخللها بعض أنهار جليدية صغيرة ، أما الجزء الجنوبى من الجبال فهو أقل ارتفاعاً وأكثر استدارة .

كما توجد أيضاً مجموعة جبال القوقاز التى تمتد مابين البحر الأسود

---

(١) المقصود هنا روسيا ومستعمراتها الأوربية والأسيوية !! (الاتحاد السوفيتى سابقاً) !! أو دول الكومنولث كما تسمى الآن ..

اتحاد الجمهوريات السوفيتية

وبحر قزوين ، وتشكل حاجزاً منيعا بين آسيا وأوروبا تخترقه بعض الممرات المرتفعة ، وتتكون هذه المجموعة الجبلية من سلاسل متوازية من الجبال تمتد نحو ١٢٠٠ كم ويتراوح ارتفاع بعضها مابين ٣٠٠ متر إلى ٤٠٠٠ متر ، وتشتمل السلاسل الرئيسية منها على بركان قديم هو جبل إلبروز ويبلغ ارتفاعه ٦١٦٠ مترا إلى جانب جبل كزبك بارتفاع ٥٥١٠ متر .

وتحدد مساحة الاتحاد السوفيتى عدة أقاليم رئيسية هى :

السهل الأوروبى الشرقى :

ويمتد من التندرا المتجمدة فى الشمال وحتى شبه الصحراء حول بحر قزوين وقد تأثر هذا الإقليم تأثراً شديداً بالأنهار الجليدية ، وتنهض فى وسطه عدة تلال قليلة الارتفاع منها تلال فالداى التى تكونت من الركامات الجليدية أثناء انحسار العصر الجليدى ، ورغم أن ارتفاع هذه التلال لايتعدى ٣٥١ متراً إلا أنها تعتبر إحدى كبرى مناطق توزيع المياه فى أوروبا .

إقليم سهل سيبيريا الغربى :

ويعتبر أحد مناطق العالم القديم ويمتد إلى الجنوب حوالى ٢٥٦٠ كم عبر جبال الأورال ونهر ينسى ، ولا تتميز تلال هذا السهل بالارتفاع بل نجد شبه استواء ورتابة فى السطح ، وهو إقليم يتميز بالمستنقعات .

إقليم الحافة الجبلية الجنوبية :

ويشكل هذا الإقليم الحدود لآسيا الوسطى السوفيتية وتشتمل على مجموعة من أكثر السلاسل الجبلية وعورة فى العالم مثل سلسلة جبال ألطاى وسلسلة جبال اليامير التى تكون كتلة ضخمة يبرز خلالها جبل كوميونيزم بارتفاع ٨١٩٧ متر ، ويعد أعلى قمة جبلية فى الاتحاد .

وتعتبر منطقة اليامير أهم منطقة توزيع للمياه فى آسيا الوسطى كذلك توجد فى هذا الإقليم سلسلة جبال ثيان شان التى تقع بها قمة يوبيدا بارتفاع ٨١٣٨ متر .

أقليم هضبة سيبيريا الوسطى :

ويقع هذا الأقليم فى قلب روسيا ويمتد مابين وادى ينسى ووادى لينا ويتراوح ارتفاع الهضبة مابين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ متر وهى أكثر انخفاضاً فى اتجاه الجنوب الغربى ، ويخترق المنطقة عدد من سلاسل جبلية قديمة مثل مرتفعات بوتورانا ومرتفعات ينسى ومرتفعات تونجوسى .

إقليم سيبيريا الشرقية :

ويمتد من نهر لينا شرقاً بين المحيط الهادى والمحيط المتجمد الشمالى ويوجد فى هذه المنطقة عدد من السلاسل الجبلية التى تنحنى على شكل قوس كبير يمتد عبر البلاد ، وتعتبر جبال فرخويانسك أكبر هذه السلاسل ، وهى عبارة عن جبال رملية تتخللها صخور ذات سفوح هينة الارتفاع فى حوض يانا ولكنها ترتفع ارتفاعا حاداً فى اتجاه الغرب .

إقليم كامتشكا :

وهو عبارة عن شبة جزيرة كبيرة تخترق وسطها سلسلتان جبليتان متوازيتان ، وهذه المنطقة تشتمل على بركان كليوشيفسكا والذى يعتبر أعلى نقطة فى شبه الجزيرة ، ويبلغ ارتفاعه ٥٣٠٤ مترا بالإضافة إلى أنه أحد البراكين الثائرة الكبرى فى العالم .

إقليم حوض آمور :

وهو إقليم يقع فى الشرق الأقصى السوفيتى وهو عبارة عن منطقة جبال متسعة تشمل جبال أوليكما ــ بايكال وستانوفوى وتتخلل مساحة روسيا الشاسعة مجموعة من الأنهار التى تتميز بأنها بطيئة الجريان نظراً لعدم ارتفاع منابعها كثيراً عن مستوى البحر كما أن انحدارها بطىء على مدى مسافات كبيرة ، وتتغذى هذه الأنهار من ذوبان الجليد ويعتبر نهر فولجا أكبر أنهار أوروبا وينبع من تلال فالداى على ارتفاع ٢٤٩ متر بامتداد ٣٦٦٤ متر حتى بحر قزوين عند مستوى ٢٨ مترا تحت سطح البحر حيث تكونت دلتا كبيرة ،

ويمتد نهر الفولجا وروافده خلال منطقة واسعة من السهل الأوروبى الشرق ويخترق طرفه الأدنى أراضى شبه صحراوية ولكن هذا النهر يتجمد بأكمله فى الشتاء .

وتوجد فى روسيا عدة أنهار عديدة تصب فى المحيط المتجمد الشمالى ومنها نهر بتشور ونهر دوينا الشمالى اللذان يجريان وسط سهول واسعة .

وللاتحاد السوفيتى سواحل ممتدة إلا أن القليل منها يعتبر صالحا لاستقبال السفن إذ أن السواحل الشمالية تطل على بحار تتجمد لفترة تزيد عن ثمانية أشهر فى السنة ، أما سواحل البحر الأسود فمعظمها مرتفع وذات جروف صخرية عالية .

ومن الملاحظ أن هذا الاتساع البالغ فى مساحة روسيا يؤدى إلى وجود تفاوت كبير فى المناخ بين أنحائه المختلفة ، فنجد مثلا منطقة رأس تشيليوسكين التى تقع شمال الدائرة القطبية تهب عليها الرياح الثلجية حتى فى الصيف حاملة كميات هائلة من الثلج إلى الساحل . بينما منطقة تودكوميتيا والتى تعتبر من أكثر أقاليم الاتحاد السوفيتى تطرفاً نحو الجنوب وتقع على نفس خط عرض مدينة تونس لذا ينمو فيها نخيل البلح .

أما منطقة جزيرة القرم فتتمتع بأحسن مناخ فى الاتحاد السوفيتى حيث تنمو بها أشجار اللوز بل أن بها بعض المصايف الجميلة .

إلا أن الصفة الغالبة على المناخ فى الاتحاد السوفيتى هى صفة المناخ القارى أى الشتاء الطويل القارس البرد والصيف الحار ، والانتقال السريع بين فصلى الشتاء والصيف وقلما يوجد ربيع أو خريف .

كذلك كان لهذا التنوع الكبير فى المناخ والتربة والظروف الطبيعية داخل الاتحاد السوفيتى أثره الواضح بالنسبة لإنتاج كل المحاصيل النباتية فيما عدا المحاصيل **المدارية** حيث يتم زراعة القمح والبطاطس والبنجر والشاى والموالح والأرز والقطن الذى تزداد المساحة المخصصة لزراعته كل عام ، وهذه المحاصيل

الزراعية المتنوعة تنتجها أراضٍ تمتد من مناطق قطبية شمالية قارصة البرد وحتى المناطق شبه المدارية مثل جورجيا .

كذلك يتميز الاتحاد السوفيتى بتوافر الثروة الحيوانية الضخمة والتى تتركز فى روسيا الأوروبية حيث تربى الماشية المنتجة للألبان فى الجزء الشمالى منها والأغنام فى الجنوب الشرقى .

كذلك تلعب ضخامة المساحة دوراً هاماً فى توزيع الكثافة السكانية خلال الاتحاد السوفيتى حيث ترتفع الكثافة السكانية بشكل ملحوظ فى الأقاليم الجنوبية والوسطى بينما تنخفض انخفاضاً شديداً فى الأقاليم الشمالية القطبية ومن المثير أن السكان داخل الاتحاد السوفيتى عبارة عن عدة أمم تختلف فى تركيبها السلالى اختلافا واضحاً فسكان أرمينيا مثلا ذوى بشرة داكنة بينما أهل ليتوانيا ذوى بشرة فاتحة وشعر أشقر ، أما الروس الصقالبة فيشبهون سكان أوروبا الشمالية فى الشكل بينما القرغيز طوال القامة سمر البشرة وذوى أعين منحرفة ، ويبلغ تعداد الصقالبة الذين يسكنون مساحة الأراضى الواسعة المعروفة بروسيا الأوروبية حوالى ١٣٠ مليون نسمة وعاصمتهم مدينة موسكو .

كما توجد هناك جماعات أخرى صغيرة العدد ، فمثلاً توجد فى القوقاز جماعة قومية تسكن قرية واحدة صغيرة لذلك نجد أن العلوم فى الاتحاد السوفيتى يتم تدريسها بأكثر من مائة لغة .

منطقة سيبيريا

سيبيريا هى الجزء الشمالى الأقصى لروسيا وهى عبارة عن قفار جليدية تمتد من جبال الأورال وحتى المحيط الهادى شرقا ومن المحيط المتجمد شمالاً وحتى بحر قزوين جنوباً بمساحة تبلغ حوالى ١٣ مليون كم٢ وبتعداد سكانى يبلغ حوالى ٣٠ مليون نسمة .

وسيبيريا هى اراضى الغابات الضخمة التى تمتد لآلاف الكيلومترات لذا يطلق عليها اسم حديقة الاتحاد السوفيتى الخلفية .

وسيبيريا اشتق اسمها من بلدة سيبير القديمة بالقرب من توبايسك وهو اسم جغرافى وليس اسماً سياسياً لأنها جزء من أهم وأكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى .

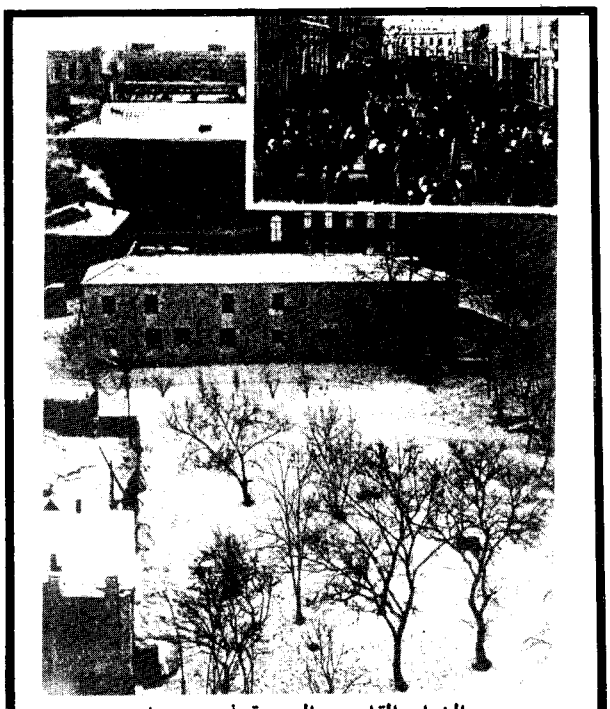

الشتاء القارص البرودة فى سيبيريا

وتشق أراضى سيبيريا أعظم الأنهار ولكنها تنتشر فى الأرض قبل أن تصل إلى مصباتها مكونة مستنقعات واسعة تمرح فيها الدببة والرنة والسمور والدلق والنمر السيبيرى .

وتتناثر فى أنحاء سيبيريا بعض البلدان والقرى الصغيرة ذات البيوت الخشبية .

وتنقسم سيبيريا من الناحية الطبيعية إلى ثلاثة أقسام :

السهل السيبيرى الكبير :

فى جهة الغرب ويمتد من جبال الأورال وحتى نهر ينيس وقد كانت مياه البحر تغطى هذا السهل فى وقت ما ثم انحسرت هذه المياه و لم يبق منها سوى بحر قزوين وبحر آرال .

مرتفعات سيبيريا :

فى جهة الشرق وكانت منضمة إلى كندا فى وقت ما .

سلاسل الجبال العظمى :

فى الجنوب والشرق وتوجد فى هذه المنطقة بحيرة بايكال أكثر بحيرات العالم عمقاً وبحر آرال ثالث بحيرات أوروبا وآسيا مساحة .

ولسيبيريا سواحل طويلة جداً وممتدة بحيث يمكن الإبحار بطول الساحل الشمالى ثم الدوران إلى بحر اوخوتسك إلا أن هذا العمل لاتجرؤ على القيام به سوى سفن معدودة إذ تغلقه الثلوج معظم فترات العام بل أن الساحل السيبيرى الشمالى كله تغطيه الثلوج تماماً أحياناً لذا تستخدم سفن خاصة تسمى كاسحات الثلوج للحفاظ على مسار الممرات المائية فى الصيف وإتاحة الفرصة أمام السفن للوصول إلى الموانىء النهرية .

وتطل منطقة رأس سليوسكين فى أقصى الشمال الشرقى من أرض سيبيريا على ساحل المحيط المتجمد الشمالى .

والمناخ فى سيبيريا شديد القسوة إذ تنخفض درجة الحرارة فى الشمال الغربى من سيبيريا فى فرخويانسك وأويمياكون إلى حوالى ـــ ٥٤٠م تحت الصفر وتعتبر هذه المناطق أبرد مناطق العالم المسكون بالبشر .. لذا نجد أن نوافذ المساكن فى شمال سيبيريا ذات ثلاث إطارات متداخلة لكى تقى السكان من هذا البرد الفظيع .

وتسقط الأمطار فوق معظم سيبيريا ، ويغطى الثلج نصفها مدة ستة أشهر من كل عام ، بينما المناخ فى الجنوب الغربى يعتبر أكثر اعتدالا حيث ترتفع درجة الحرارة لتصل إلى ٥١٨م خلال فصل الصيف القصير الحار .

والجزء الشمالى من سيبيريا عبارة عن تندرا ممتدة لاتنمو فيها سوى الطحالب والأشنات ولايذوب الثلج صيفاً إلا فوق سطح التربة بينما الطبقة التحتية تظل أبدا متجمدة وفى جنوب التندرا يمتد إقليم النايجا وهو إقليم وعر تسده المستنقعات والغابات و لم تطأ قدم إنسان بعد أجزاء كثيرة منه ، وإلى الشمال من النايجا تمتد الغابات المخروطية وإلى الجنوب منه غابات نفضية .

أما فى جنوب غرب سيبيريا فتمتد السهول التى قد تحول جزء كبير منها إلى أراضٍ زراعية .

و لم يكن الروس الغربيون يهتمون كثيرا بهذه المساحات الشاسعة لسيبيريا ، إذ لم تكن فائدتها بالنسبة هم تعدو كونها منفى ينفى إليه الغير مرغوب فيهم ، وكان بعض الروس المعدودين هم الذين يزورون هذه الفيافى التى ران عليها السكون والنسيان منذ ملايين السنين .

ولكن من المدهش أن الروس اكتشفوا كنزا فى هذه الحديقة الخلفية إذ اتضح لهم أن سيبيريا وحدها يمكنها أن تغذى الاتحاد السوفيتى بنصف حاجته من الطاقة الكهرومائية بالإضافة إلى حوالى ٨٠٪ مما تحتاج إليه البلاد من فحم وخشب بل أن مدينة مرنى الصغيرة يمكنها أن تفى بحاجة الاتحاد السوفيتى من ماس الصناعة .

وقد اكتشفت فى سيبيريا ثروات خيالية من خام الفحم والقصدير والمايكا والغاز الطبيعى بل وزيت البترول أيضاً ، لذا وضعت الحكومة فى عام ١٩٢٨ عدة خطط لاستثمار كنوز سيبيريا الطبيعية الدفينة من حيث إقامة المدن وتحسين ظروف المعيشة لاجتذاب السكان للإقامة فى هذه المناطق النائية المتجمدة ، كما أقيمت موارد لمياه الشرب ، وأنشئت جامعة ناشئة فى الشمال

الشرق من باكوتسك . كما أصبح العمال يتقاضون أجورا مرتفعة ويحصلون على أجازات طويلة مقابل العمل فى سيبيريا ، إلا أن معظم الناس لايمكثون فى سيبيريا سوى بضع سنوات قليلة ثم يشدون الرحال إلى مناطق أخرى بحثاً عن مناخ أفضل .

وقد تم تشييد أكبر محطات لتوليد الطاقة الكهرومائية فى العالم على طول الأنهار السيبيرية من جهة الشرق .

كما يوجد الآن فى براتسك أكبر مصانع للأخشاب فى العالم بالإضافة لوجود مصنعين للألومنيوم يعادل إنتاجهما ربع إنتاج العالم من الألومنيوم إلا أن سيبيريا لاتزال إقليماً بدائياً للغاية لأن تمهيد أرضها يعتبر أمراً بالغ الصعوبة بسبب الطبقة التحتية الدائمة التجمد كما أن المواصلات ليست جيدة بالقدر الكافى فيما عدا خط السكك الحديدية الذى يربط بين مدن سيبيريا الهامة مثل مدينة أومسك ومدينة نوفوسيبيرسك التى تعتبر من أكبر مدن سيبيريا الغربية ومدينة أركوتسك أكبر مدن سيبيريا الشرقية وميناء فلاديفوستوك الكبير الذى يطل على بحر أوخوتسك .

وقد دخل الروس سيبيريا أول مرة فى القرن الثالث عشر حين وفد إليها تجار نوفجورود ، ولم يبدأ الفتح الروسى لهذا الإقليم إلا فى القرن السادس عشر ، وما أن حل عام ١٦٣٠ حتى كان الروس قد تغلبوا على الكثير من قبائل آسيا الوسطى وتوغلوا حتى نهر لينا ثم وصلوا إلى المحيط الهادى عام ١٦٤٠ .

وكان ينفى إليها المجرمون والمعارضون للحكومة حيث يسخروا للعمل فى مناطق الملح تحت وطأة مناخ سيبيريا القاسى ، إلى أن قررت الحكومة استغلال وتنمية الموارد الطبيعية لهذه الأراضى الشمالية النائية .

ولم يبق من السكان الأصليين سوى القليل ومعظم السكان الآن من الروس أو أوكورانيا .

أهم مدن الاتحاد السوفيتى :

هناك عدة مدن ضخمة فى الاتحاد السوفيتى بل أنها تفوق فى ضخامتها كبرى المدن الأوروبية وإن لم تبلغ مبلغها من الشهرة .

ومعظم هذه المدن قد نمت بسرعة كبيرة ، فقد كانت روسيا قبل عام ١٩١٧ دولة زراعية فى المقام الأول وكان بها ثلاث مدن هامة هى مدينة موسكو ومدينة بترسبورج ومدينة كييف وكلها كانت فى الغرب ، ولكن الدولة اندفعت بعد عام ١٩١٧ نحو التصنيع اندفاعاً شديداً كان من نتيجته نمو بعض المدن الصناعية فى وسط روسيا إلى جانب نمو بعض المدن فى سيبيريا مثل مدينة نوفوسيبرسك السيبيرية الكبيرة أو مدن البترول مثل مدينة باكو ، وهذه المدن تتميز بالعمارات السكنية والمبانى العامة الضخمة التى تفتقر إلى جمال العمارة .

مدينة موسكو :

موسكو هى العاصمة ومساحتها حوالى ٣٢٤ كم^{٢} ويبلغ تعداد سكانها حوالى ٧,٢ مليون نسمة ، وهى مدينة عريقة ورد ذكرها عام ١١٤٧ بوصفها قاعدة لأحد الأمراء ، وقد نمت هذه المدينة سريعاً بسبب موقعها الممتاز على الطرق البرية لروسيا الأوروبية حيث كانت التجارة تسلك هذه الطرق حاملة الفراء والعنبر إلى الجنوب بينما التوابل الثمينة والحرير نحو الشمال ، كما أن الغابات والمستنقعات التى تحيط بها كفلت لها الحماية من غارات التتار وقد أطلق عليها اسم موسكو نسبة لنهر موسكفا الذى يمر بجانبها .

ويتميز وسط المدينة بالمبانى الفخمة التى يحيط بها كتل من المبانى السكنية الضخمة إلى جانب بعض المبانى القديمة المتناثرة هنا وهناك وتشتهر مدينة موسكو بمبنى الكرملين وقلعة موسكو القديمة والتى تحيط بها أسوار ترتفع فى بعض الأحيان لأكثر من ٢٠ مترا وبطول ٢٤ كم ، وقد شيدت هذه القلعة الشهيرة فى القرن الخامس عشر من الطوب الأحمر ، ويقع وسط الكرملين ميدان به عدد من الكاتدرائيات التى يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس عشر

والسادس عشر ويعلو هذه الكاتدرائيات برج ناقوس إيفان الكبير الذى يرتفع لنحو ١٠٠ متر وتحيط به القباب الذهبية .

وكان الكرملين هو قاعدة الحكم حتى أوائل القرن الثامن عشر ، لذا نجد معظم مبانيه الرسمية والسكنية يرجع عمرها إلى ٢٥٠ سنة ومنها قصر جرانوفيتايا من القرن الخامس عشر حيث كان يستقبل القياصرة ضيوفهم ومن أشهر المظاهر المهيبة فى الكرملين مشهد مدفع القيصر الشهير والذى صب عام ١٥٨٦ ويزن حوالى ٤٠ طنا ، بالإضافة إلى ناقوس القيصر الضخم الذى يزن حوالى ٢٠٠ طن ويعتبر أكبر ناقوس فى العالم وقد صب فى عام ١٧٣٥ .

ويمثل الكرملين والميدان الأحمر الشهير الملاصق له ، نواة مدينة موسكو ، حيث تقام فى الميدان الاحتفالات والمواكب الضخمة .

وقد نمت المدينة نمواً كبيراً حتى أصبحت ضواحيها تمتد الآن لأكثر من ١٦ كم ، وقد أدى هذا النمو إلى إنشاء شبكة مواصلات عامة جيدة ومحطات لمترو الأنفاق ذات شهرة عالمية حيث شيدت كل محطة على طراز خاص فاخر ومميز .

ويقدر إنتاج مصانع موسكو بنحو سبع الإنتاج الصناعى الروسى كله من الصناعات الثقيلة كصناعة السيارات والكيماويات بالإضافة لمصانع النسيج وأدوات التجميل ، كما تتميز هذه المدينة المثيرة بوجود مساحات فضاء واسعة مثل حديقة سوكر لينكى التى كان القياصرة يمارسون فيها رياضة الصيد هذا إلى جانب الحدائق الأخرى الجديدة التى تغطى مايقرب من خمس مساحة المدينة وأشهرها حديقة جوركى المركزية .

مدينة لينجراد :

ومدينة لينجراد تعتبر أحدث مدن روسيا القديمة ويبلغ عدد سكانها حوالى ٤ مليون نسمة ، وقد أسسها بطرس الأكبر عام ١٧٠٣ باسم سانت بيتر سبورج بقصد إيجاد مخرج للتجارة مع الغرب عن طريق الغرب إلى جانب

فتح باب أمام الغربيين إلى روسيا ، وقد أصبحت عاصمة لروسيا عام ١٧١٢ وقد وصفها الأديب فولتير وصفاً ساخرا بأنها مدينة مخططة كى تكون أقفاصاً للدببة والذئاب لا أن تكون مساكن للآدميين .

ولكن المدينة نمت نمواً سريعاً واستخدمت فيها أروع فنون العمارة والشوارع الكبيرة ، والكنائس والقصور ، وظلت قاعدة للحكومة الروسية حتى عام ١٩١٨ حيث أنتقلت العاصمة إلى موسكو وأصبحت المدينة تدعى لينينجراد .

وقد تعرض سكان هذه المدينة للأهوال أثناء الحصار الألمانى لها فى الحرب العالمية الثانية ، حيث استمر هذا الحصار مايقرب من ثلاثة أعوام إلا أن سكان المدينة البواسل قاوموا الجوع والخراب ولم يستسلموا .

ومدينة لينينجراد تعتبر إحدى المدن الصناعية الهامة وهى ميناء نشط مزدحم بالحركة عندما يكون نهر نيفا غير متجمد ، ويوجد بالمدينة متحف رائع لفنون التصوير به العديد من لوحات الفنانين الأوروبيين التى جمعها القياصرة قديما ، كما توجد بالمدينة عدة فروع لأكاديمية العلوم السوفيتية .

مدينة فولجوجراد :

وهى مدينة تقع على نهر فولجا بالقرب من نهر الودن ، وكانت تعرف باسم ستالينجراد ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٨٣٤ ألف نسمة ، وهى مركز صناعى هام لتصنيع السلع المعدنية والكيماوية ومناشر للخشب ومصانع لتكرير النفط وصناعة الجرارات .

وكانت هذه المدينة مسرحا لأعنف المعارك أثناء هجوم ألمانيا فى أغسطس عام ١٩٤٢ غير أن الروس دافعوا عنها ببسالة حتى أضطر الألمان إلى التسليم فى فبراير ١٩٤٢ ، وقد أعيد بناء جزء كبير منها بعد ذلك .

مدينة أوديسا :

أوديسا تعتبر من أهم المدن فى أقليم أوكورانيا ويقطنها حوالى ٩١٣ ألف

نسمة وهى إحدى الموانى الروسية الهامة ، وتقوم بها صناعة ضخمة لبناء السفن بالإضافة للعديد من الصناعات الأخرى .

وتتمتع المدينة بمناخ معتدل بالنسبة لباقى أجزاء الأقليم إلا أن صيفها شديد الحرارة ، وتشتهر هذه المدينة بالمصحات المنتشرة فيها لوجود محاليل ملحية مفيدة عند مصبات أنهارها .

ويمثل سكان هذه المدينة تشكيلا مثيراً من الروس والأوكرانيين واليهود والألمان واليونانيين والأرمن والتتار والترك .

مدينة باكو :

وتعتبر رابعة المدن السوفيتية الكبرى حيث يبلغ عدد سكانها ١,٥ مليون نسمة ، وهى عاصمة جمهورية أذربيجان وتشتهر بأنها مركز لإنتاج زيت البترول ، وبها العديد من الصناعات الهندسية والنسجية الهامة إلى جانب صناعة حفظ الأغذية ، وتشتهر باكو بأنها مركز ثقافى كبير إذ توجد بها جامعة أذربيجان الحكومية إلى جانب العديد من المعاهد الطبية والعلمية والأقتصادية والتجارية وفرق الباليه والأوبرا إلى جانب وجود بعض الأثار القديمة مثل برج العذراء الشهير الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثانى عشر بالإضافة لقر الخان الذى يرجع للقرن الخامس عشر .

مدينة طشقند :

وهى عاصمة جمهورية أزبكستان ويسكنها حوالى ١,٤ مليون نسمة وهى مدينة صناعية مزدهرة وتقع فى أهم أقاليم القطن السوفيتية وتصلها الطاقة من محطة كهرومائية قريبة ، لذا توجد بها صناعات للحديد والصلب والآلات الزراعية والغزل والنسيج .

ويرجع تاريخ هذه المدينة العريقة إلى القرن السابع الميلادى عندما كانت مدينة عربية هامة على الطريق الكبير للتجارة ، لذا تتميز بوجود جزء شرقى قديم ذى شوارع ضيقة ومساجد ومبانٍ قديمة إلى جانب جزء آخر حديث بمصانعه ومبانيه الجميلة .. وعدد من المكتبات والمتاحف والجامعة.

مدينة سيبريسك :

وتقع على نهر أوب ، وتعتبر من أهم وأكبر مدن سيبيريا الآن حيث يسكنها حوالى ١,٢ مليون نسمة وقد بدأ نمو المدينة فى عام ١٨٩٣ بعد إنشاء خط سكة حديد سيبيريا الذى جلب الحظ لسكان سيبيريا وأدى إلى نمو مدينة نوفوسيبرسك حتى أطلق عليها اسم « شيكاغو سيبيريا » .

وهى مدينة جيدة التخطيط بها مبان ضخمة وميادين عريضة وحدائق غناء وتعتبر مركزاً هاماً للعديد من الصناعات الميكانيكية وبناء السفن وصناعة البلاستيك .

مدينة جوركى :

وتقع هذه المدينة عند التقاء نهرى أوكا وفولجا ، وهى تعتبر مركزاً صناعياً كبيراً ، ويبلغ تعداد سكانها حوالى ١,٢ مليون نسمة كما أنها مدينة مواصلات هامة ، وكان اسمها فى الأصل نجنى ــ نوفجورود إلا أنها سميت فى عام ١٩٣٢ باسم الكاتب الروسى الشهير ماكسيم جوركى الذى ولد بها عام ١٨٦٨ ، وتشتهر المدينة بأسواقها ومعارضها السنوية التى يرتادها التجار لتبادل السلع ، وتتكون المدينة من ثلاثة أجزاء الجزء القديم الأصلى من المدينة والشهير بقلعته القديمة وجامعته والجزء الصناعى ويقع على الضفة اليسرى من نهر أوكاون وبه مصنع مولدتوف الضخم للسياراث والذى يعتبر أحد مصانع أوروبا الضخمة الشهيرة ، أما الجزء الثالث فيقع على الضفة اليمنى لنهر الفولجا ويتجمع فى هذا الجزء العديد من مصانع إنتاج الآلات وتعليب الأغذية .

نبذة مختصرة عن تاريخ روسيا :

وفد سكان روسيا القدماء من جبال الكربات فى القرن السابع الميلادى ثم لحقت بهم قبائل بدوية أخرى وفى عام ٨٦٢ ميلادية تولى الأمير روريك قيادتهم وأسس دولة روسيا ، وفى القرن الثالث عشر غزا التتار القادمون من منغوليا تحت قيادة جنكيز خان الرهيب بلاد الروس ، وظلت روسيا ولاية تابعة للتتار

حتى عام ١٤٨٠ عندما حررها إيفان الثالث الذى أتخذ ابنه ايفان الرابع الشهير بإيفان الرهيب لقب تسار وحكم روسيا من عام ١٥٣٣ وحتى عام ١٥٨٤ ميلادى .

كذلك كان بطرس الاول أو الأكبر من أشهر من حكم روسيا بالإضافة لكاترين العظمى التى كانت أميرة ألمانية وحكمت روسيا من عام ١٧٦٢ وحتى عام ١٧٩٦ .

وفى عام ١٨١٢ غزا نابليون روسيا وتقدم بجيوشه حتى مدينة موسكو إلا أن سكانها أشعلوا فيها النيران فوجد نابليون نفسه محاصرا واضطر إلى التراجع حيث فقد أثناء هذا التراجع الكثير من رجاله .

وفى عام ١٩٠٤ نشبت الحرب بين روسيا واليابان حيث تعرضت روسيا لهزيمة فى البحر والبر مما أدى إلى إنقلاب الشعب على القيصر واتجه البعض للعمل الثورى ، وبدأت الثورة أثناء الحرب العالمية الأولى بقيادة فلاديمير يونين وقتل فيها القيصر نيقولا الثانى وجميع أفراد أسرته ، وأقيمت الجمهورية السوفيتية فى أكتوبر ١٩١٧ ثم قام نظام ليبرالى تحت زعامة الكسندر كيرنسكى ولكن الحزب البولشفى الثورى بزعامة لينين استولى بالقوة على زمام السلطة .

ويحكم الاتحاد السوفيتى مجلس السوفييت الأعلى وسوفيت معناها مجلس باللغة الروسية ، ويتكون هذا المجلس من عضو واحد عن كل ٣٠٠ ألف نسمة وينتخبه المواطنون مرة كل أربع سنوات ، هذا بالإضافة لمجلس آخر يسمى مجلس القوميات ويتكون من ٥٧٤ عضواً يمثلون كل جمهوريات روسيا طبقا لعدد سكانها .

ومن المثير أنه أثناء إعداد هذا الكتاب حدثت تطورات سياسية جذرية فى شكل الاتحاد السوفيتى ، إذ انهارت صورة هذه الإمبراطورية العظمى التى بدأت فى عام ١٩١٧ والتى كانت تضم ١٥ جمهورية سوفيتية وامتد نفوذها من آسيا وحتى أوروبا منذ ذلك الوقت وحتى عام ١٩٩١ .

وكانت النهاية من خلال المشروع السياسى الذى أعلنه الرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف بعد توليه الحكم فى عام ١٩٨٥ ليصبح بعد ذلك آخر رئيس للاتحاد السوفيتى فى صورته القديمة .

وكان هذا المشروع يتمثل فى نظرية البيروسترويكا (إعادة البناء) ونظرية الجلاسنوست (المصارحة والمكاشفة) .

وسرعان ما تعالت الأصوات للمطالبة بإطلاق الحريات ومنح شعوب جمهوريات الاتحاد السوفيتى صيغة الحكم الذاتى .

وكانت جمهوريات البلطيق الثلاث إستونيا ولاتفيا وليتوانيا هى أول الجمهوريات التى أعلنت استقلالها عن الاتحاد السوفيتى بعد سلسلة من الاضطرابات العنيفة .

ثم تلاحقت الأصوات الأخرى التى تطالب بالاستقلال ، واتفق رؤساء جمهوريات روسيا وبيلوروسيا وأوكورانيا على إقامة اتحاد أو كومنولث بين جمهورياتهم .

وفى ١٠ ديسمبر عام ١٩٩١ اجتمع هؤلاء الرؤساء الثلاثة فى مدينة مينسك عاصمة جمهورية بيلوروسيا ، وأعلنوا نهاية الاتحاد السوفيتى ليحل محله اتحاد الدول المستقلة وإلغاء كل الهياكل الاتحادية السابقة بالإضافة لإلغاء الدستور ، ثم وجهوا الدعوة لباقى الجمهوريات الروسية للانضمام إليهم وسرعان ما انضمت إليهم الجمهوريات المتبقية بعد استقلال جمهوريات البلطيق الثلاثة .

وفى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٩١ أعلن ميخائيل جورباتشوف استقالته من رئاسة الاتحاد السوفيتى القديم ليفسح المجال لتكوين هذا الاتحاد الروسى الجديد الذى يضم ١٢ جمهورية روسية مستقلة ، من بينها ٦ جمهوريات للمسلمين الروس هى :

جمهورية أوزبكستان وكازاخستان وتركمانيا وطاجيكستان وقيرغيزيا وأذربيجان .